رفع الإيهام

لبيان

مراتب الصيام

بحث لمراتب الصيام الثلاثة

راجعه فضيلة الشيخ

بندر ردن الحارثي

بقلم

فارس الميزاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي فرض الصيام رحمةً بعباده، وجعله وسيلةً للتقوى وتزكية النفوس، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير من صام وقام، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

يُعَدُّ الصيام من أعظم العبادات في الإسلام، إذ لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب فقط، بل يمتد ليشمل تهذيب النفس وتطهير القلب وتعزيز روح الإخلاص لله تعالى. ومن هنا، تناول العلماء الصيام من زوايا مختلفة، وبيّنوا مراتبه ودرجاته، ومن أبرزهم الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، حيث قسّم الصيام إلى ثلاث مراتب رئيسية: صوم العامة، وصوم الخاصة، وصوم خاصة الخاصة.

في هذا البحث، نسلط الضوء على هذه الدرجات الثلاث، موضحين خصائص كل مرتبة، وكيف يرتقي الصائم من الامتناع الظاهري عن المفطرات إلى تحقيق كمال الصيام الذي يصوم فيه القلب عن التعلّق بغير الله. كما نستعرض الأثر الروحي والتربوي لكل مستوى، مستندين إلى النصوص الشرعية وأقوال العلماء، بهدف إبراز البعد الحقيقي للصيام بوصفه مدرسة إيمانية تعمل على تزكية النفس وتقوية الصلة بالله عز وجل.

ونسأل الله أن يجعل هذا البحث نافعًا ومفيدًا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

كتبه

فارس الميزاني

١٤٤٦/٠٩/٠٥هـ

تمهيد

قد تناول العلماء الصيام من جوانب متعددة، فتحدثوا عن أحكامه وشروطه، كما تطرقوا إلى مراتبه ومستوياته التي تعكس مدى تحقق الغاية الروحية منه. ومن هنا برز تقسيم الإمام الغزالي – وغيره من أهل العلم – للصيام إلى ثلاث مراتب:

١. **صوم العامة**: وهو الصيام الذي يقتصر على الامتناع عن المفطرات الظاهرة من أكل وشرب وجماع، دون مراقبة الجوارح أو القلب.

٢. **صوم الخاصة**: وهو صيام الجوارح عن الآثام، بحيث يمتنع الصائم عن كل قول أو فعل ينافي التقوى، فلا يقتصر على ترك الطعام والشراب، بل يتجنب الكذب، والغيبة، والنظر الحرام، وكل ما يخدش الصيام.

٣. **صوم خاصة الخاصة**: وهو أعلى المراتب، حيث لا يقتصر الصائم فيه على الامتناع عن المفطرات الظاهرة والمحرمات، بل يسمو بروحه إلى مقام المراقبة الكاملة، فلا يشغل قلبه بغير الله، متجنبًا حتى ما يشغل فكره عن الذكر والتقرب إلى المولى عز وجل.

وسيحاول هذا البحث تسليط الضوء على هذه المراتب الثلاث، من خلال بيان أسسها، وأهميتها، وأثرها في حياة الصائم، مستندين إلى النصوص الشرعية وأقوال العلماء في ذلك.

أولاً: ذكر نصوص العلماء في تقسيم مراتب الصيام

أول من تحدث عن مراتب الصيام الثلاثة هو الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه إحياء علوم الدين، حيث قال: (اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. فأما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية، وكفه عما سوى الله بالكلية)[1].

يوضح الغزالي أن صوم الخاصة يشمل الامتناع عن المحرمات واللغو، فيحفظ الصائم سمعه وبصره ولسانه وجوارحه، فلا يغتاب ولا يكذب ولا ينظر إلى ما حرم الله. أما صوم خاصة الخاصة فهو صيام القلب عن الاشتغال بغير الله، بحيث لا ينشغل فكره إلا بذكر الله والتقرب إليه، فلا يتعلق بالدنيا حتى وإن كانت مباحة.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مراتب الصيام، كما ورد في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد: (الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. فأما صوم العموم فهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة. وأما صوم الخصوص فهو كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار الدنيوية، وكفّه عمّا سوى الله بالكلية. ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر، وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة، وليس من الدنيا)[2].

ويشير ابن القيم إلى أن الكمال في الصيام لا يكون بمجرد ترك الطعام والشراب، بل لا بد من حفظ الجوارح والقلب من كل ما يفسد الروح ويشغلها عن الله، وهذا متوافق مع ما ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين حول مراتب الصيام.

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٤٢.

(٢) زاد المعاد ٢/٢٩-٣٠.

وقد ذكر هذا في الجملة وفي معناه غيره من العلماء نذكر أبرزهم:

١- **كلام شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في مجموع الفتاوى تحدث عن الصيام الحقيقي ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب، بل بالأقوال والأفعال وغيرها، حيث يقول: (إنما الصوم لا يتوقف على الإمساك عن الطعام والشراب، بل هو الإمساك عن كل ما يضر بالصيام من قول أو فعل أو تذكر. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». فالصائم يجب عليه أن يحفظ لسانه، وأن يبتعد عن المعاصي من غيبة، أو كذب، أو شتم، أو غير ذلك. ولا ينبغي له أن يتساهل في تلك الأمور، فالصيام الكامل هو صيام الجوارح كلها).

٢- **كلام الإمام ابن رجب الحنبلي** رحمه الله في كتابه لطائف المعارف، يتحدث ابن رجب عن درجات الصيام ويشير إلى أن الصيام الحقيقي ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب، بل هو تهذيب للنفس والقلب، حيث يقول: (اعلم أن الصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الشهوة. فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا، وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته وأمن من لغوه، وكذبه، وفجوره، وظلمه. هذا هو الصوم المشروع، لا مجرد الإمساك عن الطعام والشراب).

وهذا المعنى قريب مما ذكره الغزالي وابن القيم، حيث يُشير إلى أن الصوم لا يكون كاملًا إلا إذا صاحبته التقوى في القول والعمل.

٣-**كلام الإمام الفخر الرازي** رحمه الله في تفسيره مفاتيح الغيب عند تفسيره لآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، يقول: (إن الصيام شُرع ليكون وسيلة إلى تحقيق التقوى، ولا يتم ذلك إلا إذا صامت الجوارح كلها عن الآثام، فليس الصيام مجرد الكف عن الطعام والشراب، وإنما هو كف الجوارح عن كل ما

يخالف التقوى. فالعين تصوم عن النظر المحرم، واللسان يصوم عن الغيبة، والأذن تصوم عن سماع الفحش، وهكذا جميع الجوارح).

وهذا يبين أن الهدف من الصيام ليس الامتناع المادي فحسب، بل تحقيق التقوى بمفهومها الشامل.

٤- **كلام الإمام ابن الجوزي** رحمه الله في كتابه كشف المشكل من حديث الصحيحين، يعلق ابن الجوزي على حديث ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ)) رواه أحمد وابن ماجه. فيقول: (هذا الحديث يدل على أن الصوم درجات، فمن صام بطنه عن الطعام لكنه لم يصم جوارحه عن الآثام، لم يكن له من صيامه إلا الجوع والعطش. وأما الصائم حقًا فهو الذي صام لسانه عن الكذب، وعينه عن النظر المحرم، وجوارحه عن المحظورات).

وهذا الكلام يتماشى مع مفهوم صوم العامة، وصوم الخاصة، وصوم خاصة الخاصة الذي تناوله الغزالي وغيره.

٥- **كلام الإمام السيوطي** رحمه الله في كتابه شرح سنن النسائي عند شرحه لحديث: ((الصِّيَامُ جُنَّةٌ)) متفق عليه، يقول السيوطي: (معنى كونه جُنَّة أي وقاية، وليس المراد الوقاية من النار فقط، بل يشمل الوقاية من الذنوب والمعاصي، فلا يكون الصيام كاملًا إلا إذا صار درعًا للعبد يحميه من جميع الآفات، سواء آفات الجوارح أو آفات القلوب، فيصوم ظاهره وباطنه)

وهذا يوضح أن الصيام الحقيقي لا يكون إلا إذا كان وسيلة لحماية النفس من الذنوب، وهو ما يتماشى مع تقسيم الصيام إلى مراتب.

ثانياً: بيان مراتب الصيام وحقيقتها

❁ المرتبة الأولى: صوم العامة:

التعريف: هو الامتناع عن المفطرات الظاهرة كالأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

المراد به: هو صيام عامة المسلمين، ويقتصر على الامتناع عن المفطرات الظاهرة (الطعام، الشراب، الجماع) من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، دون الالتفات إلى الأمور المعنوية مثل ضبط الجوارح والقلب.

أهمية هذا البعد: تحقيق التهذيب البدني والانضباط عن الشهوات الدنيوية.

الرأي الشرعي: يُعتبر هذا النوع من الصيام هو الفريضة التي يؤديها المسلمون في رمضان أو الصيام النافِل؛ وهو مطلوب شرعًا كأساس لصيام الجوارح، وهو الحد الأدنى الذي يُعد به الصوم صحيحًا من الناحية الفقهية.

الدليل الشرعي:

من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (البقرة: ١٨٣).

يشير هذا الأمر إلى فرضية الصوم التي تُقتصر على ترك المفطرات.

من الحديث النبوي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**)) رواه البخاري.

يُظهر الحديث أن الجانب الخارجي للصوم (الامتناع عن الطعام والشراب) هو ما يتوجب تحقيقه في المقام الأول.

۞ المرتبة الثانية: صوم الخاصة:

التعريف: هو توسيع مفهوم الصيام ليشمل الجوارح؛ أي الامتناع ليس فقط عن المفطرات المادية، بل أيضًا عن المعاصي والذنوب التي تُرتكب بوساطة السمع، والبصر، واللسان، واليدين، والقدمين.

المراد به: هو صيام أهل التقوى والإحسان، حيث لا يقتصرون على ترك المفطرات الظاهرة، بل يحفظون جوارحهم عن المعاصي، فيمنعون النظر الحرام، والغيبة، والكذب، وسوء الخلق، ويضبطون ألسنتهم وجوارحهم.

أهمية هذا البعد: إذ أن ترك المفطرات الظاهرة وحده لا يكفي؛ فإن القلب والجوارح بحاجة إلى تنظيم ومراقبة لتتحقق آثار الصيام على المستوى الأخلاقي والروحي.

قال الإمام الغزالي: وهو كفّ السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام.

الدليل الشرعي: قال النبي ﷺ: **((رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))** رواه ابن ماجه.

يشير إلى أن مجرد الامتناع الجسدي دون ضبط السلوك لا يحقق الغاية الروحية من الصوم.

ما يحققه الصائم بهذه المرتبة:

١- **الصوم الأخلاقي والسلوكي**: يتجاوز هذا المستوى الامتناع الجسدي ليشمل ضبط الجوارح والابتعاد عن المحرمات والمعاصي.

٢- **ضبط الألسنة والنظر والسلوك**: يُترجم إلى الامتناع عن القول البذيء، الغيبة، الكذب، النظر إلى ما لا يحل، وغيرها من التصرفات التي تتنافى مع روح العبادة.

٣- **المستوى العملي للتزكية**: في هذا المستوى يستخدم الصائم صومه كوسيلة لترويض النفس وضبطها على الإحسان.

۞ المرتبة الثالثة: صوم خاصة الخاصة:

التعريف: هو أرقى درجات الصيام؛ فيُعنى بصيام القلب من الأفكار والهمم الدنيوية، وإشغال النفس بذكر الله والتفكر في معاني الدين والآخرة.

أهمية هذا البعد: صيام القلوب عن الخواطر الرديئة، والانشغال بالدنيا، والتفكير في غير الله. فيكون القلب معلقًا بالله، منقطعًا عن أي تعلق دنيوي، ويكون صاحبه في قمة الإخلاص والمراقبة.

الأثر الروحي: يُعد هذا الصوم بمثابة تحقيق الكمال الروحي، إذ ينتقل الصائم من مستوى مجرد الالتزام بالشروط الخارجية إلى مستوى من الإخلاص والتفاني في العبادة.

الدليل الشرعي:

من القرآن الكريم: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (المائدة: ٢٧).

من الحديث النبوي: قال النبي ﷺ: ((**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**)) متفق عليه.

قال بعض الصالحين: الصيام جُنة ما لم يخرقها صاحبها. أي: لا يكفي الصيام الظاهري إن كان القلب مشغولًا بالدنيا.

وورد عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون: صيام القلب أفضل من صيام اللسان، وصيام اللسان أفضل من صيام البطن.

ما يحققه الصائم بهذه المرتبة:

١- **الصوم الداخلي والروحي**: هنا يكون الصائم قد بلغ درجة نادرة من الخشوع والتقرب إلى الله بحيث يكون قلبه مطهرًا من الهموم الدنيوية.

٢- **صيام القلب والعقل**: يشمل التحكم في الأفكار والرغبات والابتعاد عن الانشغال بما لا ينفع في دنياه أو آخرتهم، وتوجيه كل الجهد الذهني نحو الله.

٣- **تحقيق الإخلاص الكامل**: يصبح الصوم وسيلة لإخلاص القلب وتفريغ النفس من الملذات الدنيوية، ما يجعله في أعلى درجات التقوى.

خاتمة

الحمد لله الذي وفقنا لبيان مراتب الصيام، وشرح أقوال العلماء حول درجاته، واستعراض الأدلة الشرعية التي توضح المقصود من كل مرتبة، من صوم العامة الذي يقتصر على الامتناع عن المفطرات الظاهرة، إلى صوم الخاصة الذي يشمل صيام الجوارح عن المعاصي، وصولًا إلى صوم خاصة الخاصة، وهو كمال الصيام الذي يصوم فيه القلب عن التعلّق بالدنيا، فلا يشغله إلا ذكر الله والتقرب إليه.

ملخص النتائج:

من خلال ما سبق، يتبين أن الصيام في الإسلام ليس مجرد عبادة ظاهرية، بل هو وسيلة للتقوى وتزكية النفس وتهذيب الأخلاق، وهو امتحان حقيقي للإخلاص واليقين. فكلما ارتقى المسلم في درجات الصيام، ازداد قربًا من الله وصفاءً روحيًا، محققًا المقصد الأسمى لهذه العبادة العظيمة.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الذين يصومون بقلوبهم وجوارحهم، وأن يرزقنا الإخلاص في عباداتنا وأعمالنا، وأن يجعل هذا البحث نافعًا لمن يقرأه، محفزًا على التدبر في معاني الصيام والسعي نحو تحقيق أعلى درجاته. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.